دراسة في مفهوم الطاغوت وطبيعته
من المنظور السلفي الجهادي بالارتكاز على رأي ابن تيمية

حمزة علي بهرامي
أستاذ مشارك بقسم المعارف الإسلامية
جامعة أصفهان / ايران

A study of the concept of taghut and its nature from the Salafi-jihadi perspective, based on the opinion of Ibn Taymiyyah

Hamzeh Ali Bahrami
Associate Professor , Faculty member of the Department of Teaching of Islamic, University of Isfahan
Email : h.a.bahrami@ltr.ui.ac.ir

ملخص البحث

ظلت مكافحة الطاغوت من المفاهيم الأصلية ، والكلمات الرئيسة للحركات السلفية الجهادية في نضالاتهم ، وهدف هذا البحث دراسة مفهوم الطاغوت من المنظور السلفي الجهادي بالارتكاز على آراء ابن تيمية ، و أتبع البحث الراهن المنهج الوثائقي التحليلي للإجابة عن الأسئلة التالية: كيف يفسر السلفية الجهادية كلمة الطاغوت في القرآن الكريم؟، ما مدى صحة تفسيرهم وقراءتهم؟ ، ما هي آثار وتبعات قراءتهم وتفسيرهم للطاغوت؟ ، ومن أبرز ما توصّل البحث إليه أنّ للطاغوت مفهومًا شاملًا عامًّا لدى السلفية الجهادية بحيث تعدُّ مكافحة الطاغوت من أسس مكونات الحركات السلفية الجهادية ، وأنّ مكافحة الطاغوت ليست من الفروع الفقهية لديهم بل من الأصول الدينية ومقدمة على تبليغ الدين، ومن الأمثلة الواضحة للطاغوت التحاكم إلى غير الكتاب والسنّة ، وقبول حاكمية غير الله ورسوله ، ويصنّف السلفية الجهادية هذا المفهوم في الشرك العبادي ، والشرك الربوبي والشرك الإلهي والشرك في الحاكمية ، ويرون أنّ قبول الأنظمة التشريعية والقانونية العلمانية معارض للسيادة الإلهية ويعدّ ضربًا من الطاغوت ، كما تبيّن أنّ الطاغوت يترادف مع الشرك ، والكفر والضلالة ، واليهود، ويتضاد مع الإيمان بالإله الواحد والإنبياء وأوامرهم ، والاعتقاد بالمعاد في وجهة نظر السلفية الجهادية ، بعبارة أخرى، إنّ الطاغوت مفهوم معارض لمفهوم التوحيد في الألوهية، والربوبية، والعبادة، والسيادة.

الكلمات المفتاحية : القرآن الكريم، السلفية، الحركة الجهادية، منظمة القاعدة، الطاغوت، ابن تيمية.

Abstract

Combating tyranny has remained one of the original concepts and key words of the Salafi-jihadi movements in their struggles. The aim of this research is to study the concept of taghut from the Salafi-jihadi perspective, based on the views of Ibn Taymiyyah. The current research adopted the analytical documentary approach to answer the following questions: How do Salafist jihadists interpret the word taghut in the Holy Qur'an? How correct is their interpretation and reading? What are the effects and consequences of their reading and interpretation of Taghut? One of the most important findings of the research is that the taghut has a general, comprehensive concept among Salafist jihadists, such that combating the taghut is considered one of the most important components of the Salafi-jihadi movements. Combating the tyrant is not one of their branches of jurisprudence, but rather one of the religious principles and a prelude to spreading the religion. Clear examples of tyranny include resorting to authority other than the Qur'an and Sunnah and accepting the rule of anyone other than God and His Messenger. Jihadist Salafism classifies this concept into worshipful polytheism,

divine polytheism, divine polytheism, and polytheism in governance. They see that accepting secular legislative and legal systems is opposed to divine sovereignty and is considered a form of tyranny. It has also become clear that taghut is synonymous with polytheism, disbelief, misguidance, and Jews, and is in conflict with belief in one God, the prophets and their commands, and belief in the Day of Resurrection, from the Salafist jihadi point of view. In other words, taghut is a concept that opposes the concept of monotheism in divinity, lordship, worship, and sovereignty.

Keywords: The Holy Qur'an, Salafism, the jihadist movement, Al-Qaeda organization, the tyrant, Ibn Taymiyyah.

١ – التمهيد :

التيار السلفي من الفرق الحية والفاعلة في عالم الإسلام ، ولهذه الحركة علاقات وثيقة بآراء ابن تيمية (المتوفى ٧٢٨ هـ) ، وأقواله وفتاويه ، وهو عالم حنبلي ظاهري ، وأكثر الشخصيات تأثيرًا في هذه الحركة المتطرفة ، وفتاواه مصدر ومرجع لكثير من أعمال وجرائم المجموعات الجهادية التكفيرية المعاصرة.

إنّ الحركة السلفية الجهادية من التيارات المقترِضة ، والمدينة لآراء ابن تيمية وأقواله وفتاواه ، وتتمتّع حاليًّا بالتنوّع في التنظيم والعنوان والنفوذ ، ومنها يمكن الإشارة إلى طالبان ، ومنظمة القاعدة ، وداعش ، وجبهة النصرة وبوكوحرام ، إذ يرى هذا التيار أنّ الجهاد واجب عيني ويعتقدون أنّ عدم الاهتمام بفريضة الجهاد هو سبب تخلّف المسلمين، ومن الشخصيات المؤثرة في هذا التيار في مسار تاريخي يمكن الإشارة إلى: ابن تيمية، ومحمد

بن عبد الوهاب، وسيد قطب، وعبد السلام فرج، وجهيمان العتيبي، وعبد الله عزام، وابو قتادة الفلسطيني، وأبو محمد المقدسي الأردني، وبن لادن، والزرقاوي ، وأبو بكر البغدادي.

تعتني الحركات السلفية الجهادية بآيات الجهاد ، والآيات التي فيها كلمة الطاغوت ، ومجاهدة الطاغوت والكفار والحكام المسلمين وترتكز عليها ، وقد كانت مكافحة الطاغوت من المفاهيم الرئيسة والمفردات الأساسية لتكوين هذه الحركات؛ لهذا وقد استعملت كلمة الطاغوت ومشتقاتها أربعين مرّة في القرآن الكريم ، ويعدّ القرآن الكريم أنّ مهمّة الأنبياء هي مكافحة الطاغوت ويأمر الناس بالاجتناب عنه وتكفيره.

أبو محمد المقدسي وهو منظّر أدبيات السلفية الجهادية المعاصرة ، وأحد المؤسسين والقادة المؤثرين لمنظمة القاعدة ، يقول في كتابه الشهير «ملة إبراهيم»: يعتقد البعض أنّ تطبيق الإسلام والبراءة عن الكفار ، والانزجار عنهم ، والقيام ضدهم تأتي رتبةً بعد تبليغ الإسلام بالحكمة والجدال الأحسن، وذلك خطأ ؛ لأنّ الإسلام بمعنى الإخلاص في عبادة الله الواحد والكفر بغيره لا يمكن التأخير والتقديم فيه ، بل يجب الابتداء بنقطة البراءة هذه؛ وذلك بأنّها نفس الإثبات والنفي في كلمة «لا إله إلا الله» وأساس الدين وعمود دعوة الأنبياء ، يستلزم الإيمان بالإسلام الكفر بالطواغيت التي تعبد من دون الله سواء أ كانت من الأوثان الحجرية أم الشمس والقمر، والقبور والأشجار والقوانين الوضعية و... يجب إبراز الكفر بها والعداوة والبغض تجاهها[1].

على ما سبق آنفًا، تراودنا أسئلة وهي: كيف يفسّر السلفية الجهادية مصطلح الطاغوت في القرآن؟ ، وكيف يصلون إلى النضال والجهاد العملي والسيفي عن طريق تفسير كلمة الطاغوت؟ ، وما هو دور هذه الكلمة في تكوين الحركات الجهادية؟ وما مدى صحة تفسير السلفية لهذه الكلمة؟ ؛ لذلك أتبع البحث الحاضر المنهج الوثائقي التحليلي لدراسة وتبيين وجهة نظر السلفية بالارتكاز على آثار ابن تيمية بخصوص كلمة الطاغوت في القرآن ومدى استحكامها.

(١) ملة ابراهيم و دعوة الانبياء والمرسلين، أبو محمد المقدسي، ٢٥ ، ٢٦

٢- خلفية البحث :

عثرنا على بحوث ودراسات في موضوع البحث والطاغوت وهي:

١- مشايي،محمدرضا: «دراسة مفهوم الطاغوت في القرآن على أساس التفاسير»، مجلة مطالعات إسلامي[١] ، قد درس الباحث كلمة الطاغوت في الآيات القرآنية مطالعة اى مفرداتى فقط ، بينما درس البحث الحاضر وجهة نظر السلفية در تفسير اين كلمه مفهومًا و مثالًا و مكونات تفسيرشان.

٢- كوهي، مصطفى: «الرجوع إلى الطاغوت للتحكيم»، پژوهشكده أمر به معروف ونهي از منكر، قم[٢] ، قد تطرق الباحث إلى مقاربة الآيات والروايات بخصوص الرجوع إلى الطاغوت وذكر بعض آثار اين رجوع، أما البحث الحاضر، تطرّق إلى تبيين وجهة نظر السلفية بخصوص الطاغوت و أمثلته و أيّ توحيد يعارضه الطاغوت وما هي تبعاته؟

٣- حائري، محمود: «الرجوع إلى الطاغوت في المصادر التفسيرية والروائية ونطاقه»، مجلة كتاب قيم[٣] ، قد تناول هذا البحث ميزات الطاغوت وأمثلته في الروايات الشيعية ولا علاقة له بالبحث الحاضر.

وعلى ذلك، يتميّز البحث الحاضر بميزات، منها حصر البحث على وجهة نظر السلفية في تفسير كلمة الطاغوت في القرآن، ودراسة دور تفسيرهم لكلمة الطاغوت في تكوين الحركات السلفية الجهادية ، وكذلك تبيين دلالة كلمة الطاغوت في الآيات القرآنية مما لم نعثر عليها في البحوث والدراسات السابقة حسب تفحصنا وتحرينا.

(١) دراسة مفهوم الطاغوت في القرآن على أساس التفاسير، محمدرضا مشايي، ١٣٧٦ ه.ش: ، ٣٧ ، ٣٨.

(٢) الرجوع إلى الطاغوت للتحكيم، مصطفى كوهي ، ١٣٩٥ ه.ش: پژوهشكده أمر به معروف ونهي از منكر، قم.

(٣) الرجوع إلى الطاغوت في المصادر التفسيرية والروائية ونطاقه، محمود حائري ، ١٣٩٨ ه.ش: مجلة كتاب قيم، السنة التاسعة، العدد العشرين.

٣- تعريف الطاغوت :

قد استعملت كلمة الطاغوت ثماني مرات في القرآن الكريم مباشرة ، واشتقت من «طغى» أو «طغو» وتدلّ على التعدّي والتجاوز والارتفاع والعبور من الحدّ المقبول ، وسمّي بالطاغوت كلُّ معبود من دون الله نحو الساحر والكاهن والشيطان وأئمة الضلالة وكل من يمنع ويحرّف الآخرين عن سبيل الخير.[١]

أما تعريف الطاغوت اصطلاحًا فهو : كل من يسلك سبيل الانحراف والتعدّي وينكر ولاية الله، وإطاعته، وربوبيته، وسيادته نظريًّا أو عمليًّا.

٤- معاني الطاغوت وأمثلته في المصادر السلفية :

قد ذكر للطاغوت أمثلة خاصّة في المصادر السلفية ، وإن كان له تعريف شامل وعامّ في بعض المصادر، وفيما يلي، قد أشرنا إلى أمثلة الطاغوت في المصادر السلفية بعد ذكر عدة تعاريف عامة له.

يعتبر ابن تيمية كلمة الطاغوت اسم جنس يشمل الشيطان والصنم والكاهن والدرهم والدينار[٢] ، ويعتقد أنّ الطاغوت هو ما يتّبع ويعظّم من دون إطاعة الله ورسوله، شيطانًا كان أو صنمًا[٣].

يقول ابن قيّم الجوزي: الطاغوت كل ما يخرج العبد من حدّه سواء كان من العبادة ، أم من الاتباع والإطاعة ، كل قوم يتحاكمون إلى غير الله ورسوله ، أو يعبدون شخصًا ، أو شيئًا غير الله ، أو يطيعونه فيما لم يحدد الله حكمًا فيه، فهم الطاغوت[٤] ، وعلى ذلك يرى ابن قيّم الجوزي أنّ الطاغوت هو الشرك في العبادة والإطاعة والحاكمية.

(١) المفردات الفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ٥٢٠.
(٢) «الطَّاغُوتَ وَهُوَ اسْمُ جِنْسٍ يَدْخُلُ فِيهِ الشَّيْطَانُ، وَالْوَثَنُ، وَالْكُهَّانُ، وَالدِّرْهَمُ، وَالدِّينَارُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ».
(٣) «والطاغوت كل معظم ومتعظم بغير طاعة الله ورسوله من إنسان أو شيطان أو شيء من الأوثان». الحسبة لشيخ الاسلام، ابن تيمية، ١٦/ ٥٦٦ ، جامع الرسائل،ابن تيمية، ٢/ ٣٧٣؛ اقتضاء الصراط المستقيم، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، ص٤٥٦.
(٤) إعلام الموقعين، ابن قيم الجوزي، ١/ ٥٠.

يقول آل شيخ: الطاغوت كلمة عامّة وتشمل كل ما يضادّ كلمة «لا إله إلا الله» ، ويوجب انحراف العبد عن عبادة الله ، واتباع رسوله شعارًا كان ، أو قانونًا ، أو عَلَمًا ، أو حزبًا ، أو فكرة ، أو شيطانًا ، أو جنًّا ، أو إنسًا ، أو شجرة ،أو حجرة ، أو قبرًا ، أو ... والطاغوت كل ما يقابل ويعارض التوحيد[١] ، وعلى ذلك يرى آل شيخ أنّ الطاغوت هو الشرك في التوحيد والنبوّة.[٢]

٤-١- الأصنام والأوثان :

يقول مالك والطبري: الطاغوت عبادة كل معبود غير الله[٣] سواء كان إنسانًا ، أم شيطانًا، أم صنمًا ، أو شيئًا آخر [٤] ، ويقول ابن تيمية: أصنام المشركين العرب مثال الطاغوت[٥]. ، وكانوا يدعونها ويتقرّبون إليها ويستعينون بها[٦] ، ويقول آل شيخ: يشمل الطاغوت جميع شرور أهل الجاهلية نحو عبادة الأصنام والتوسل بها وطلب شفاعتها.[٧]

٤-٢- الكافرين والمشركين وأهل الكتاب :

يرى ابن تيمية أنّ الذين ينكرون الله وخالقيته كالفرقة الاتحادية (اتّحاد الخالق والمخلوق)، والجهمية والصابئية والفلاسفة (الداروينية) وهي من أمثلة الطاغوت[٨].

(١) «لأن الكفر بالطاغوت ركن التوحيد ... الذي يستخلص من كلام السلف (رضي الله عنهم): أن الطاغوت كل ما صرف العبد وصده عن عبادة الله وإخلاص الدين والطاعة لله ولرسوله، سواء في ذلك الشيطان من الجن والشيطان من الإنس، والأشجار والأحجار وغيرها».

(٢) فتح المجيد، آل شيخ، ٣٩١ ، كتاب التوحيد، ، عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب آل شيخ، ٢٨١-٢٨٧.

(٣) «الطاغوت كل ما عبد من دون الله».

(٤)تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري ، ٥/ ٤١٩.

(٥) «فالمعبود من دون الله إذا لم يكن كارهًا لذلك طاغوت ولهذا سمّى النبي الأصنام طواغيت».

(٦) «فكان لكل قوم من مشركي العرب طاغوت يتخذونه ندًّا من دون الله ، فيقربون له ويستعينون به ويشركون به» ، اقتضاء الصراط المستقيم، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، ٤٥٦.

(٧) «ومعنى قوله في الطاغوت «أنه الشيطان» قوي جدًّا فإنه يشمل كل شر كان عليه أهل الجاهلية من عبادة الأوثان، والتحاكم إليها، والاستنصار بها ، وكذلك رواه ابن جرير» ، فتح المجيد، عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب آل شيخ، ٣٩١.

(٨) «أو ادعى أنه ليس ثم صانع غير الصنعه ولا خالق غير المخلوق ولا فوق السماوات إله كما يقوله الاتحادية وغيرهم من الجهمية والذين وافقوا الصابئة والفلاسفة فيما كانوا يقولونه في الخالق ورسله

يعتبر عبد الوهاب الذين يعبدون غير الله من أمثلة الطاغوت[١].

في تفسير الآية الـ (٦٠) من سورة المائدة، يعدّ ابن تيمية أهل الكتاب من الطواغيت والذين يعبدون الطاغوت[٢]، ويرى أن الطاغوت من صفات اليهود[٣]، ويرى المتشبهين باليهود من الطواغيت[٤] ، وفي قول آخر، يحتسب ابن تيمية اليهودَ والنصارى والمجوس الذين تعارض سلوكهم الكتاب والسنة من الطواغيت[٥].

٤-٣- أولياء المشركين وأهل الكتاب وأحباؤهم :

وقد عدّ ابن تيمية من الطواغيت من يحبّ الكفار والمشركين ، وأهل الكتاب ويتّبعون أقوالهم وأعمالهم وآراءهم، وكذلك من يحب موتى المشركين ، وأهل الكتاب وأحياءهم ويعظمهم ويكرّمهم ويرافقهم[٦] ، وعلى ذلك فإنّ تكريم علماء غير المسلمين وأبطالهم

في أسمائه وصفاته والمعاد وغير ذلك» ، الحسبة لشيخ الاسلام، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، ٢٨/ ٢٠٠.

(١) سير گفتمان سلفيگرى ، مروان شحادة، ١٣٨.

(٢) ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ ، فإن أهل الكتاب كان منهم من أشرك وعبد الطواغيت».

(٣) «الصواب أنه معطوف على ما قبله من الأفعال، أي من لعنه وغضب عليه، ومن جعل منهم القردة والخنازير ومن عبد الطاغوت. قال: والأفعال المتقدمة الفاعل فيها اسم الله، مظهرا أو مضمرا. وهنا الفاعل اسم من عبد الطاغوت ، وهو الضمير في «عبد» ولم يعد سبحانه «من»؛ لأنه جعل هذه الأفعال صفة لصنف واحد وهم اليهود».

(٤) «وهذه حال كثير ممن يشبه اليهود ... من أنواع الجبت والطاغوت» ،جامع الرسائل، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، ٢/ ٣٧٣.

(٥) «ونحو أقوال اليهود والنصارى وأفعالهم المخالفة للكتاب والسنة، ونحو أقوال المجوس والمشركين وأفعالهم المخالفة للكتاب والسنة» ، الحسبة لشيخ الاسلام، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، ٢٨/ ٢٠٠.

(٦) «فمن كان من هذه الأمة مواليًا للكفار من المشركين ، أو أهل الكتاب ببعض أنواع الموالاة ونحوها مثل إتيانه (أهل) الباطل واتباعهم في شيء من مقالهم وفعالهم الباطل، كان له من الذم والعقاب والنفاق بحسب ذلك ، وذلك مثل متابعتهم فى آرائهم وأعمالهم كنحو أقوال الصابئة ، وأفعالهم من الفلاسفة ونحوهم المخالفة للكتاب والسنة، ونحو أقوال اليهود والنصارى وأفعالهم المخالفة للكتاب والسنة، ونحو أقوال المجوس والمشركين وأفعالهم المخالفة للكتاب والسنة، ومن تولى أمواتهم أو أحياءهم بالمحبة والتعظيم والموافقة فهو منهم» ، الحسبة لشيخ الاسلام، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، ٢٨/ ٢٠٠.

وفنانينهم طاغوتٌ من وجهة نظر ابن تيمية.

٤-٤- الفراعنة والحكام الظالمين :

يعدّ ابن تيمية فرعون والحكام الظالمين من الطواغيت[١] ، يقول ابن قيم الجوزي: طاغوت كل قوم هو من يراجع الناس إليه للتحكيم ، وهو يحكم بغير حكم الله ورسوله[٢]، ويرى محمد بن عبد الوهاب الحكام الظالمين من الطواغيت[٣].

٤-٥- المنافقون :

في تفسير الآية الـ٦١ من سورة النساء[٤]، يعدّ ابن تيمية منافقي الأمة من الطواغيت[٥]، ويرى أنّ من صفات المنافقين ، والضالّين أن يتحاكموا إلى الطاغوت ويحكموا بغير الكتاب والسنّة[٦].

٤-٦- السحرة والكهنة :

من الأمثلة الشائعة للطاغوت هم السحرة والكهنة[٧] ، ويرى جابر بن عبد الله أن

(١) «ولهذا سمّي من تحاكم إليه من حاكم بغير كتاب الله طاغوت وسمى الله فرعون (وعادا طغاة)». الحسبة لشيخ الاسلام، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، ٢٨/ ٢٠٠.

(٢) «الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده: من معبود أو متبوع أو مطاع ، فطاغوت كل قوم: من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله ، فهذه طواغيت العالم، إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها، رأيت أكثرهم أعرض عن عبادة الله تعالى إلى عبادة الطاغوت، وعن طاعة رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إلى طاعة الطاغوت ومتابعته» ، كتاب التوحيد، عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب آل شيخ، ١٧.

(٣) سير گفتمان سلفيگرى، مروان شحادة، ١٣٨.

(٤) ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾.

(٥) جامع الرسائل، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، ٢/ ٣٧٣.

(٦) وقال تعالى في نعت المنافقين: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ (سورة النساء: ٦٠-٦١). الحسبة لشيخ الاسلام، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، ٣/ ٣١٧.

(٧) تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري، ٥/ ٤١٩.

الطواغيت كهنة تتنزّل عليهم الشياطين[١].

٤-٧- الشيطان :

من الأمثلة الأصلية للطاغوت هو الشيطان[٢].ويروي ابن كثير عن عمر بن الخطّاب أنّ الطاغوت يعني الشيطان[٣]، ويرى محمد بن عبد الوهاب الشيطان من الطواغيت.[٤]

٤-٨- المتحاكمون إلى القضاة غير الإلهيّين :

يقول ابن تيمية: مثل الذين يظهرون الإيمان بالله ورسوله، ولكن يتحاكمون الطاغوت، مثل المشركين الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم يتّبعون الشياطين والطاغوت والسحر[٥].

٤-٩- الأنظمة القانونية العلمانية :

يرى ابن كثير أنّ الطاغوت هو التحاكم إلى كل شيء غير الكتاب والسنّة[٦] ، ويرى ابن قيّم الجوزى ، ومحمد بن عبد الوهّاب أن الطاغوت هو الذي يحكم على أساس أمور غير ما أنزله الله[٧] ، ويلقّب سيد قطب نظام عبد الناصر النظام العلماني من أمثلة النظام الطاغوتي[٨] ، ويرى عبد القادر عبد العزيز بالاستناد إلى القرآن : أنّ التحاكم إلى القوانين غير الإلهية (القوانين الوضعية البشرية) كفر ومنفّذيها كافرون[٩].

يقول عبد الله عزام: الذين يشرّعون على أساس غير ما أنزله الله هم الطواغيت ، والكافرون ولو كانوا من المصلّين والصائمين والمقيمي شعائر الدين ، وما يميّز ويفرّق

(١) «الطواغيت: كهّان كان ينزل عليهم الشيطان ،. كتاب التوحيد ، عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب آل شيخ، ٢٨١-٢٨٧.
(٢) تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري، ٥/ ٤١٩.
(٣) «إنّ الجبت السحر، والطاغوت الشيطان».
(٤) سير گفتمان سلفيگرى، مروان شحادة، ١٣٨ .
(٥) جامع الرسائل أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، ٢/ ٣٧٣.
(٦) «والآية ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة، وتحاكم إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت هاهنا». فتح المجيد، عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب آل شيخ، ٣٩١-٣٩٤.
(٧) إعلام الموقعين، ابن قيم الجوزي، ١/ ٥٠ ، سير گفتمان سلفيگرى، مروان شحادة، ١٣٨ .
(٨) كمال حبيب، ٢٠٠٦ ، ٣٦.
(٩) العمدة فى اعداد العدة٢ ، عبد القادر عبد العزيز ٢/ ٦٩٠.

بين كفر الحاكم وإيمانه ، هو القانون الذي يسري ويسود على أنفس الناس وأموالهم وأعراضهم[١] ، ويقول آل شيخ: من الطاغوت الحكم على النفس والمال والعرض بالقوانين والشريعة الأجنبية عن الإسلام ، وكذلك الطاغوت كل ما يلغي الأحكام الإلهية من إقامة الحدود وحرمة الزنا والربا والخمر و... هذه القوانين نفسها طاغوت ومشرّعوها ومروّجوها من الطواغيت أيضًا ، وكذلك من الطاغوت أحكام العقل البشري التي تضلّ الإنسان عن معارف رسول الله[٢].

٤-١٠- مدّعو العلم العقلي والمتكلمين والفلاسفة :

لا ينظر ابن تيمية إلى علم الكلام والمتكلمين نظرة إيجابية، ويجعل مدّعي الفقه والكلام من الطواغيت[٣] ، ويرى أنّ الرجوع إلى الأحكام العقلية المأخوذة من المشركين ، وأهل الكتاب هو الحكم بغير الكتاب والسنة والرجوع إلى الطاغوت[٤] ، ويحتسب ابن تيمية من الطواغيت الفلاسفةَ الذين تعارض أقوالهم وآراؤهم الكتاب والسنة[٥] ، ويعدّ آل شيخ من

(١) الأنصاري، د.ت، ٣٦-٣٩.

(٢) «الذي يستخلص من كلام السلف (رضي الله عنهم): أن الطاغوت ... يدخل في ذلك بلا شك: الحكم بالقوانين الأجنبية عن الإسلام وشرائعه وغيرها من كل ما وضعه الإنسان ليحكم به في الدماء والفروج والأموال، وليبطل بها شرائع الله، من إقامة الحدود وتحريم الربا والزنا والخمر ونحو ذلك، مما أخذت هذه القوانين تحللها وتحميها بنفوذها ومنفذيها ، والقوانين نفسها طواغيت، وواضعوها ومروجوها طواغيت» ، كتاب التوحيد، عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب آل شيخ، ٢٨١-٢٨٧.

(٣) «وهذه حال كثير ممن يشبه اليهود من المتفقهه والمتكلمة وغيرهم». جامع الرسائل ، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، ٢/ ٣٧٣.

(٤) «وفي هذه الآيات أنواع من العبر من الدلالة على ضلال من يحاكم إلى غير الكتاب والسنة، وعلى نفاقه، وإن زعم أنه يريد التوفيق بين الأدلة الشرعية وبين ما يسميه هو [عقليات] من الأمور المأخوذة عن بعض الطواغيت من المشركين ، وأهل الكتاب وغير ذلك من أنواع الاعتبار». الحسبة لشيخ الاسلام، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، ٣/ ٣١٧.

(٥) «كنحو أقوال الصابئة وأفعالهم من الفلاسفة ونحوهم المخالفة للكتاب والسنة ». الحسبة لشيخ الاسلام ، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، ٢٨/ ٢٠٠.

الطواغيت أحكام العقل البشري التي تضلّ الإنسان عن معارف رسول الله[١].

٤-١١- الحكام الشيعة :

في تفسير الآية الـ ٥١ من سورة النساء، يرى ابن تيمية أنّ الدولة البويهية (الديالمة) التي كانت من الشيعة من الدول الطواغيت التي تحكم بغير الكتاب والسنّة[٢].

٤-١٢- المدّعون لعلم الغيب :

يرى محمد بن عبد الوهّاب أنّ من الأمثلة الواضحة للطاغوت الذين يدّعون علم الغيب [٣] ،ويعتقد الشيعة أنّ أئمّة المعصومين (عليهم السلام) مطلعون على علم الغيب.

٤-١٣- الدعاء والاستغاثة والعبادة في المقابر :

يرى ابن تيمية أنّ الذين يتخذون قبور الأنبياء والصلحاء كمسجد ، ومكان للعبادة والدعاء والاستغاثة والتوسل والاستعانة، يتصرّفون كالمشركين والطواغيت[٤].

(١) «الذي يستخلص من كلام السلف (رضي الله عنهم): أنّ الطاغوت ... وأمثالها من كل كتاب وضعه العقل البشري ليصرف عن الحق الذي جاء به رسول الله إما قصدا ، أو من غير قصد من واضعه، فهو طاغوت ، كتاب التوحيد، عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبد آل شيخ، ٢٨١-٢٨٧.

(٢) «فَذَمَّ الَّذِينَ أُوتُوا قِسْطًا مِنْ الْكِتَابِ لَمَّا آمَنُوا بِمَا خَرَجَ عَنْ الرِّسَالَةِ وَفَضَّلُوا الْخَارِجِينَ عَنْ الرِّسَالَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِهَا كَمَا يُفَضِّلُ ذَلِكَ بَعْضُ مَنْ يُفَضِّلُ الصَّابِئَةَ مِنْ الْفَلَاسِفَةِ وَالدُّوَلِ الْجَاهِلِيَّةِ. جَاهِلِيَّةِ التُّرْكِ وَالدَّيْلَمِ وَالْعَرَبِ وَالْفُرْسِ وَغَيْرِهِمْ ، عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِاَللَّهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ وَكَمَا ذَمَّ الْمُدَّعِينَ الْإِيمَانَ بِالْكُتُبِ كُلِّهَا ، وَهُمْ يَتْرُكُونَ التَّحَاكُمَ إلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَيَتَحَاكَمُونَ إلَى بَعْضِ الطَّوَاغِيتِ الْمُعَظَّمَةِ مِنْ دُونِ اللهِ كَمَا يُصِيبُ ذَلِكَ كَثِيرًا مِمَّنْ يَدَّعِي الْإِسْلَامَ وَيَنْتَحِلُهُ فِي تَحَاكُمِهِمْ إلَى مَقَالَاتِ الصَّابِئَةِ الْفَلَاسِفَةِ ، أَوْ غَيْرِهِمْ أَوْ إلَى سِيَاسَةِ بَعْضِ الْمُلُوكِ الْخَارِجِينَ عَنْ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ مِنْ مُلُوكِ التُّرْكِ وَغَيْرِهِمْ ». الحسبة لشيخ الاسلام، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، ١٢/ ٣٣٩.

(٣) سير گفتمان سلفيگرى، مروان شحادة، ١٣٨.

(٤) «وهكذا تجد من يتخذ شيئا من نحو هذا الشرك كالذين يتخذون القبور وآثار الأنبياء والصالحين مساجد تجد كل قوم يقصدون بالدعاء والاستعانة والتوجه ... وهذا وأمثاله من الكفر الصريح باتفاق علماء المسلمين» ، اقتضاء الصراط المستقيم، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، ٤٥٦.

٤-١٤- زوّار المقابر والمشاهد :

يجعل ابن تيمية من الطواغيت، الذين يرحلون لزيارة قبور الأنبياء والمشاهد الشريفة[١].

٤-١٥- المتوسّلون بالمقابر :

يرى ابن تيمية أنّ الطلب من الميت وخطابه بـ«يا سيّدي، أدركني وأغثني» ، أو تبليغ السلام ، أو تقديم الزائر حوائجه لدى المشهد كل ذلك من تصرفات المشركين الطاغوتية[٢].

٤-١٦- تعظيم المقابر والنذر لها :

إنّ نذر الأولاد للخدمة في المشاهد ، أو نذر الأموال والضحايا لأصحاب المشاهد والقبور، أو تغطية القبور بالحجاب وإسدال الستار عليها ، أو تهذيبها وتفضيضها، يرى ابن تيمية كل ذلك من التصرفات الشركية الطاغوتية[٣].

٥- علاقة الطاغوت بالتوحيد من المنظور السلفي :

من الدوافع الأصلية لتكوين الحركات السلفية هو الدعوة إلى التوحيد ومكافحة الشرك والبدعة والكفر ، ومصطلح التوحيد موجود في أسماء كثير من هذه الحركات ،

(١) «فيقصدون بالسفر والزيارة رضى غير الله والرغبة إلى غيره ويشدون الرحال إما إلى قبر نبي ، أو صاحب ، أو صالح ، أو ما يظنون أنّه نبي أو صاحب أو صالح داعين له راغبين إليه ... وهذا وأمثاله من الكفر الصريح باتفاق علماء المسلمين» ، اقتضاء الصراط المستقيم، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، ٤٥٦.

(٢). «وأكثرهم يسأل الميت المقبور كما يسأل الحي الذي لا يموت فيقول يا سيدي فلان اغفر لي وارحمني وتب علي ، او يقول اقض عني الدين وانصرني على فلان وأنا في حسبك وجوارك... كما كان المشركون يسيبون السوائب لطواغيتهم ، ومن السدنة من يضلل الجهال فيقول أنا أذكر حاجتك لصاحب الضريح وهو يذكرها للنبي يذكرها لله ومنهم من يعلق على القبر المكذوب ، أو غير المكذوب من الستور والثياب ويضع عنده من مصوغ الذهب والفضة مما قد أجمع المسلمون على أنه من دين المشركين...وهذا وأمثاله من الكفر الصريح باتفاق علماء المسلمين» ، اقتضاء الصراط المستقيم، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، ٤٥٦.

(٣) «وقد ينذرون أولادهم للمقبور ويسيبون له السوائب من البقر والغنم وغيرها ... ومنهم من يعلق على القبر المكذوب أو غير المكذوب من الستور والثياب ويضع عنده من مصوغ الذهب والفضة مما قد أجمع المسلمون على أنه من دين المشركين...وهذا وأمثاله من الكفر الصريح باتفاق علماء المسلمين». اقتضاء الصراط المستقيم، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، ٤٥٦.

وكان شعار الوهّابية الأصلي نضال الشرك والخرافات ، يكفّر ويقتل هذه الحركات معارضيهم بوصفهم مشركين ومبتدعين ، ومن تهم الحركات السلفية تجاه معارضيهم هو الطاغوت، وعلى ذلك هنا سؤال يطرح نفسه: ما هي العلاقة بين التوحيد والطاغوت من المنظور السلفي؟ بعبارة أخرى، هل يعارض الطاغوت أصل التوحيد أم توحيدًا خاصًا؟ كما تقدّم آنفًا، تارة يعارض الطاغوت أصل التوحيد ، وتارة أخرى يعارض نوعًا خاصًا من التوحيد، سيتّضح فيما يلي أن الرؤية السلفية ترى الطاغوت في المجتمعات الإسلامية نفس الشرك في الربوبية والعبادة والسيادة.

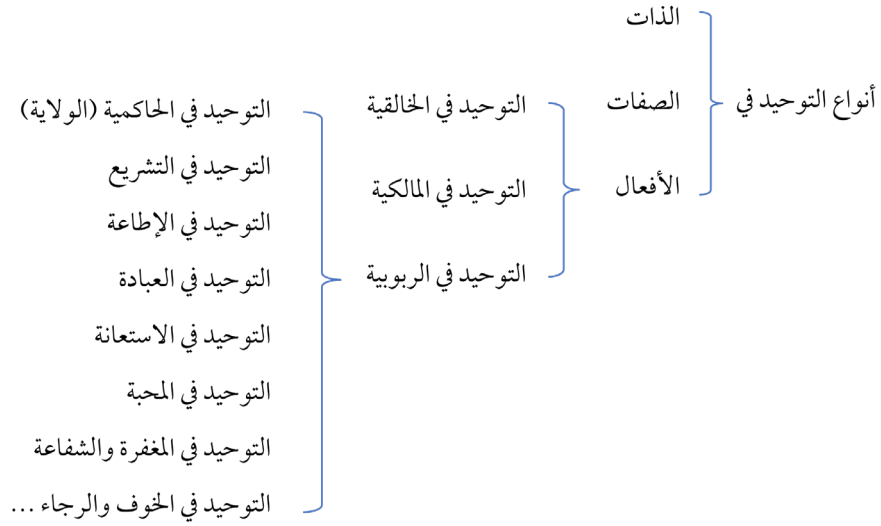

ينقسم التوحيد إلى : التوحيد الذاتي ، والتوحيد الصفاتي : والتوحيد الأفعالي في علم الكلام ، ويراد بالتوحيد الأفعالي أنّ كل أمر وفعل يجب رجوعه إلى ذات الله تعالى ، وأن يعتمد ويتّكل كل فاعل ومؤثر عليه تعالى في العالم ، وينقسم التوحيد الأفعالي إلى ثلاثة أقسام عامّة وهي : التوحيد في الخالقية ، والتوحيد في الربوبية ، والتوحيد في المالكية ، ويستلزم التوحيد في الخالقية التوحيد في الربوبية وينتج التوحيد الثاني من التوحيد الأول ، وكذلك من شؤون الربوبية هو حق التصرّف في شؤون المخلوقات وذلك يسمّى بالتوحيد

في المالكية.

ويراد بالتوحيد في الربوبية الاعتقاد بأنّ الله وحده يقدر أن يتصرّف في جميع شؤون المخلوقات ، وكل العالم ويدبّرها ويديرها مستقلًا ، وتفرّع من التوحيد في الربوبية فروع مختلفة وهي: التوحيد في الحاكمية (الولاية)، والتوحيد في التشريع، والتوحيد في الإطاعة، والتوحيد في العبادة، والتوحيد في الاستعانة، والتوحيد في المحبة، والتوحيد في الشفاعة، والتوحيد في الخوف والرجاء ...، ولكن لثلاثة منها أهمية أكثر وهي: التوحيد في التشريع، والتوحيد في الحاكمية، والتوحيد في العبادة.

٥-١- التوحيد التشريعي :

كما أشرنا سابقًا، إنّ للتوحيد الربوبي فروعًا، منها التوحيد التشريعي ، والتوحيد في الحاكمية والولاية يستلزم التوحيد في الربوبية الإقرار بالتوحيد في التشريع؛ لأنّه إذا ثبت أنّ مدبر العالم ومديره هو الله تعالى وحده، فمن المسلم أنّه لا صلاحية لغيره في التشريع؛ لأنه ليس له نصيب وحصة في تدبير العالم حتى يضع قوانين ملائمة مع نظام التكوين.

يراد بالتوحيد التشريعي الاعتقاد بأنّ المشرّع المؤهل الوحيد هو الله تعالى ، ولا يجوز لأحد غيره أن يضع قوانين لتنظيم الحياة البشرية مستقلًا وفي عرض التشريع الإلهي ، وكذلك إنّ التوحيد الربوبي والتوحيد التشريعي يستلزمان التوحيدَ في سيادة الله وولايته[1]، ويراد بالولاية الإلهية أنّ لله حق الولاية على جميع الموجودات ومخلوقاته ، وأن يطبّق ربوبيته عليهم بأشكال مختلفة من الولاية التكوينية والولاية التشريعية ، والمراد بالولاية التشريعية هو حق التصرّف في نفوس الناس وأموالهم وأفعالهم، وهناك آيات كثيرة تتعلّق بالولاية التشريعية وحق السيادة لله تعالى، وفي الجملة إنّ السلفية يرون أنّ الطاغوت هو الشرك في التوحيد الربوبي والتوحيد الشريعي والتوحيد في السيادة والولاية.

(١) «إن التوحيد في الحاكمية من شؤون التوحيد في الربوبية فإن الرب بما أنه صاحب المربوب ومالكه وبعبارة ثانية خالقه وموجده من العدم له حق التصرف والتسليط على النفوس والأموال وإيجاد الحدود لتصرفاته ...». الهيات، جعفر سبحاني، ٢/ ٧٣.

٥-١-١- مبدئية التشريع :

يقول عبد القادر عبد العزيز من السلفية المعاصرين: إنّ السلفية لا يجعلون قضايا التشريع والسيادة والتحاكم من القضايا الفرعية والجزئية والفقهية ، وإنّما يقع التشريع في بطن أصل الإيمان ، وعلى ذلك، أصبح لا يتعلق الاختلاف في فعله ، أو امتناعه بالاختلاف في حلال وحرام، وإنّما هو اختلاف بين الإيمان والكفر، والإسلام والجاهلية، والتوحيد والشرك ، لا تقبل شهادتي الشخص إلا أن يحصر التشريع والسيادة والتحكيم على الله سبحانه ، ومن يجعل واحدًا من هذه الأمور لغير الله تعالى، فقد إشرك به وأصبح من الطواغيت.[١]

من المنظور السلفي الجهادي، هناك أناس في المجتمعات المعاصر يصلّون ويصومون، ولكن يطلبون التشريع والحكم والتحكيم من غير الله ؛ ولذلك يصابون بالشرك الربوبي ويصبحون مشركين ، وقوانينهم الأساسية تنمّ عن هذا الكفر في هذه المجتمعات، وعلى سبيل المثال، جاء في الدستور المصري:

١: مجلس الخُلق يتولى التشريع (المادة ٨٦).

٢: التحكيم في المحاكم يخضع للقانون (المادة ١٦٥).

٣: لا جريمة ولا عقوبة إلا بالقانون (المادة ٦٦).

٤: مبادئ الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع (الماده ٢).

والرابع أكثر كفرًا بالنسبة إلى المواد الأخرى؛ لأنه يصرّح بأنّ هناك إلهًا آخر سوى الله ويشارك في التشريع ، هذا والتشريع حق يختصّ بالله، ولكن هنا عندما نقول: إنّ دين الإسلام هو المصدر الرئيسي للتشريع، يعني ليس هناك مصدر واحد، بل توجد مصادر أخرى للتشريع ، وهناك إله آخر سوى الله يتسلم منه القانون والقواعد ، وعلى ذلك، لا يتبرأ هؤلاء الأشخاص بمجرد قوانين وضعية تحتوي على بعض الأحكام الشرعية ، فمثل

(١) سير گفتمان سلفيگرى، مروان شحادة، ١٣٩.

هذا التشريع والحكم والتحكيم غير الشرعي هو اعتبار الشريك لله وهو الكفر نفسه [١] ، ويقول محمد أمين الشنقيطي في «أضواء البيان»: من تحاكم إلى غير الشريعة الإلهية، فقد تحاكم إلى الطاغوت.[٢]

يعدّ كتاب السياسة والشرعية لأبي عمر من أهم المؤلفات في مجال التنظير السلفي الجهادي ، ولا يجوّز أبو عمر التحاكم إلى القوانين ، والقواعد الموضوعة البشرية في كتابه في باب «الحكم لله» ، ويرى أنّ هذا العمل طاغوت بأي اسم وشكل يكون[٣]، ويجعل المقدسي مجالس التشريع غير الإلهي طاغوتًا وشركًا.[٤]

٥-١-٢- استدلالات قرآنية للسلفية في أصالة التوحيد التشريعي :

وفق الآية الـ٥١ لسورة النحل[٥]، إنّ وضع إله آخر بجانب الله في مجال التشريع والحكم يكون الشرك نفسه الذي قد نهى الله عنه، لا تتخذوا إلهين اثنين أحدهما خالق الكون، والثاني مدبّر الأمور ، فلا إله إلا الله الواحد وهو الخالق والمدبّر معًا، إنّ الآلهة التي اتخذت بجانب الله هي الطاغوت الذي قد أمر الله نفسه بالاجتناب عنه والكفر به[٦].

في تفسير الآية الـ٢١ لسورة الشورى[٧]، يقول ابن تيمية: من اتّبع قانونًا وحكماً لم يأمر به الله، فقد أشرك لله وأنكر التوحيد التشريعي[٨] ، ويرى ابن تيمية في تفسير هذه الآية أنّ كفر اليهود والنصارى هو إنكار التوحيد التشريعي.[٩]

(١) سير گفتمان سلفيگرى ، مروان شحادة، ١٣٩.
(٢) لماذا الجهاد، أبو عمر عمر محمود أبو قتادة، د.ت، ٩-١١.
(٣) سير گفتمان سلفيگرى، مروان شحادة، ١٤٦.
(٤) المقدسي، د.ت، ٤-٦.
(٥) ﴿ وَقَالَ اللهُ لاَ تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾.
(٦) ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (سورة النحل: ٣٦). سير گفتمان سلفيگرى، مروان شحادة، ١٤٦.
(٧) ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ ﴾.
(٨) «فَمَنْ نُدِبَ إِلَىٰ شَيْءٍ يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَىٰ اللهِ أَوْ أَوْجَبَهُ بِقَوْلِهِ أَوْ فِعْلِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُشَرِّعَهُ اللهُ: فَقَدْ شَرَعَ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ وَمَنْ اتَّبَعَهُ فِي ذَلِكَ: فَقَدْ اتَّخَذَ شَرِيكًا لله شَرَعَ فِي الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ» ، الحسبة لشيخ الاسلام، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، ٢٠٠٥، ٤/ ١٩٥، ٢٠/ ٣٥٨.
(٩) الحسبة لشيخ الاسلام ، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، ٢٠٠٥، ٣٥/ ٣٦٥.

وفي تفسير الآية الـ٢٦ لسورة الكهف[١]، يجعل ابن تيمية التوحيد في الحاكمية والتشريع أصلَ التوحيد ، ومن أصول الإيمان ومن لوازم الشهادتين، ويرى أنّ التحاكم إلى غير حكم الله تحاكم إلى الطاغوت والشرك[٢] ، وفي تفسير الآية الـ٦٥ لسورة النساء[٣] يقول: الذين لا يقبلون حاكمية الله ورسوله ولو في جزء منه ، أو في حكم واحد من أحكامه، فلا إيمان لهم[٤].

٥-٢- التوحيد العبادي :

بالاستدلال إلى آية الطاغوت[٥]، يرى ابن تيمية أنّ هدف إرسال الرسل هو الدعوة إلى التوحيد العبادي[٦] ، ويقول أبو قتادة أحد قادة السلفية الجهادية المعاصرة : من وضع نفسه في مقام الآمر والناهي والحاكم على الغير عبر التشريع، وضع نفسه من الآلهة المطاعة والمعبودة ، وأصيب بالشرك العبادي. العبودية الفارغة من العمل بأوامر المعبود الحق ليست عبودية صحيحة ، والتحاكم إلى غير الله يعني إطاعة غيره ، وعبادته في الواقع ، وذلك ينافي التوحيد العبادي وعبادة الله[٧].

عبادة الطواغيت هي اتّباع تشريعاتهم ، ويقارن الله تعالى الذين يتخذون علماء اليهود أرباب التشريع مع الذين يعتقدون أن عيسى المسيح إله ، كما أنّ من عبد المسيح، فقد اتخذه

(١) ﴿ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾.

(٢) «من إيمانها بأن الحكم بما أنزل الله تعالى من مقتضى الشهادتين اللتين هما عنوان هذا الدين، ومن أصل التوحيد الذي يقوم عليه كل دين الإسلام، ولهذا جعل الله تعالى التحاكم إلى غيره عبادة للطاغوت، وجعل الإشراك به في حكمه من الشرك بالله تعالى» ، الحسبة لشيخ الاسلام، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، ١٤٢٥، ١٢٢.

(٣) ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾.

(٤) «ونفى الإيمان عمن لا يحكم بما جاء به الرسول في كل شيء» ، الحسبة لشيخ الاسلام، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، ١٤٢٥، ١٢٢.

(٥) سورة النحل ، الآية : ٣٦

(٦) ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ ، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، ٢٠٠٠، ١٧٤.

(٧) لماذا الجهاد، أبو عمر عمر محمود أبو قتادة، د.ت، ٩-١١.

إلهه وأصيب بالشرك العبادي، فكذلك من اختار لنفسه تشريع غير الله، فقد اختاره كإلهه وعبده بدل الله وكفر به وخرج عن إطار الإسلام[١].

يقول المقدسي أحد علماء السلفية المعاصر: للعبادة أنواع، كما أنّ السجدة والركوع والدعاء والنذر والتضحية عبادة ، فالإطاعة في مجال التشريع عبادة أيضًا، وهي عبادة يجب أن لا تبذل لغير الله ، إن بذلها الإنسان لغير الله ولو كان بمقدار حكم واحد، فقد أشرك بالله بذلك ، ومن جعل نفسه شريكًا لله في التشريع سواء أ كان حاكمًا ، أم محكومًا ، أم مندوب البرلمان ، أم وكيل الناخبين ـ، فهو مثال الطاغوت؛ لأنّه امتنع عن عبادة الله وعصاه، وأنكر التوحيد العبادي ، فإنكار التوحيد العبادي ينمّ عن الشرك في العبادة والكفر ، وبذلك عارض الله بإرادته لكي يشاركه في صفة التشريع التي تختص به عزّ وجلّ ، ومن فعل ذلك، فقد جعل نفسه إلهًا مشرّعًا ، ولا شك أنّ ذلك من الأمثلة الواضحة للطاغوت ، وبذلك لن يقبل توحيده ولا إسلامه[٢].

يقول ابن كثير: إنّ عبادة ما سوى الله كعبادة الشخص ، أو الشجر والحجارة والقبر هي عبادة الطاغوت[٣].

٦- التحليل والتقويم :

المفاهيم المشتركة والبديلة للطاغوت :

استقرأنا كلمة الطاغوت ومشتقاتها في القرآن الكريم ، فوجدنا أنّها استعملت ٣٨ مرة فيه ، وستجدون في الجدول أدناه الآيات القرآنية التي قد استعملت فيها كلمة الطاغوت ، وكذلك تشاهدون الكلمات المرافقة مع كلمة الطاغوت مفهومًا.

(١) سير گفتمان سلفيگرى، شحادة، ١٣٩٥، ١٤٦.
(٢) المقدسي، د.ت، ٤-٦.
(٣) «وكذلك من عبد شيئًا دون الله فإنما عبد الطاغوت» ، فتح المجيد، عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ال شيخ، ٣٩١ ٣٩٤

المفاهيم المشتركة والمختلفة مع الطاغوت				
الرقم	المفاهيم المشترك	التكرار	المفاهيم المختلفة	التكرار
١	يَعْمَهُونَ (التحيّر)	٥	–	–
٢	الضلالة	٨	الهداية والنور	٣
٣	الكفر	١٢	الإيمان بالله وقبول ولايته	٩
٤	أقوام الطاغوت (ثمود وعاد)	٤	التوبة والإنابة إلى الله	٢
٥	الحكام الجائرون (فرعون)	٦	–	–
٦	الشيطان	٣	–	–
٧	الشر (مكانة الشر) والعناد	٧	الخير	١
٨	الملعون والمغضوب	٨	الرحمة	١
٩	الفساد، والفتنة والعداوة	٧	–	–
١٠	أهل الكتاب	٤	–	–
١١	المكذبون ومنكرو المعاد	٢	–	–
١٢	الظالمون	٣	–	–

من المفردات كثيرة الاستعمال في آيات الطاغوت هي كلمتي الكفر والإيمان مما استعملتا ٢١ مرة، والأقوام والحكام الظالمون كقوم ثمود وفرعون قد استعملت عشر مرات، ويمكن إضافة هذه المفردات إلى كلمات الكفر والشرك ومشتقاتهما، فبجمعها يمكن أن يقال: إنّ موضوع الكفر والشرك والكافر والمشرك استعمل أكثر ٣٠ مرّة في آيات الطاغوت، وعلى ذلك، فإنّ أكثر المفاهيم اشتراكًا مع الطاغوت هو مفهوم الكفر؛ أي يمكن أن يقال: أنّ لكلمة الطاغوت قرابة دلالية من كلمة الكفر، وإنّ الأصنام وكل معبود غير الله، وكل محبة واتباع من الكفار والمشركين والمنافقين والساحرين والكهنة كل ذلك من الأمثلة الأصلية للطاغوت، وكل شيء يبعد الإنسان عن الإيمان بالله يعدّ طاغوتًا، وإنّ إنكار التوحيد وتضعيفه بأي شكل ممكن من أهم المعاني والدلالات لكلمة الطاغوت، وعلى ذلك، فإن تفسير الطاغوت بالكفر ومعارضة التوحيد والإيمان بالله في مؤلفات السلفية وابن تيمية،

يفهم ويدرك من القرآن وآياته.

لكلمتي الضلالة والتحير مفهوم مخالف مع كلمتي الهداية والنور ؛ ولذلك بينهما معنى مشترك ، واستعملت جميعها ١٦ مرّة في آيات الطاغوت ، والضلالة عن الصراط المستقيم هو الدخول في سبيل الطاغوت ، وليس الضالّون كافرين دائمًا؛ لأنّه قد يكون الشخص موحدًا ولكن قد ضل سبيل الهداية والوحي والتشريع ، يبدو أنّ الابتعاد عن تعاليم الأنبياء والقرآن هو الدخول في سبيل الضلالة والابتعاد عن نور الهداية ، ويرى ابن تيمية أنّ آراء بعض الفلاسفة والمتكليمن والمتصوفة وأقوالهم التي تعارض القرآن والسنة هي الضلالة، وإن لم يعدهم كافرين ومشركين بصراحة ، وعلى ذلك، فإنّ إنكار النبوة والوحي وتعاليم الأنبياء بأي شكل ، والالتزام بالقوانين الموضوعة البشرية ، والاعتماد المحض على العلوم العقلية والمادية يمكن أيضًا أن تكون من أمثلة الطواغيت ، وبالتالي فإن تفسير السلفية للطاغوت بما يخالف تعاليم الوحي والأنبياء يوافق ما في القرآن وفي آيات الطاغوت.

وكلمة الشر ومأوى الشرارة وهو جهنم فضلًا عن الهالكين والساقطين في نار جهنم قد استعملت عشر مرات ، ومع كلمة المكذبين ومنكري المعاد التي استعملت ثلاث مرات، قد أشار القرآن بالمجموع ١٣ مرة إلى الحياة الآخرة ، وعواقب إنكار التوحيد والنبوة في آيات الطاغوت ، وكلمات الملعونين والمغضوبين والمطرودين وهم أصحاب جهنم التي استعملت تسع مرات، إن أضفناها إلى الحياة الآخرة، فيمكننا أن نقول: أنّ الكلمات المتعلقة بالمعاد قد استعملت ٢٢ مرة في آيات الطاغوت ، وذلك يدلّ على أن هذه الآيات ترتكز على المعاد والحياة الآخرة والعقاب والثواب ، وبالتالي فإنّ إنكار المعاد والحياة الآخرة من أمثلة الطاغوت ، وبذلك يوافق تفسير السلفية مع القرآن وما في الطاغوت.

جعل ابن تيمية والسلفية أهل الكتاب واليهود والمجوس من الطواغيت و يبدو أنّ تفسيرهم هذا يوافق القرآن أيضًا؛ لأنّ أهل الكتاب وخاصة اليهود منهم ذكروا أربع مرات في آيات الطاغوت.

هناك أشخاص رغم أنهم يعتقدون بالتوحيد والنبوة والمعاد، ولكن يرتكبون الظلم

والفساد والفتنة وإثارة الحرب ، والكلمات المتعلقة بهم استعملت عشر مرات في آيات الطاغوت ، كما تقدم آنفًا، يعدّ السلفية هؤلاء الظالمين والفاسدين من الطواغيت؛ ولذلك يوافق تفسيرهم هذا ما جاء في القرآن الكريم وفي آيات الطاغوت.

أما بعض أمثلة الطاغوت في المصادر السلفية، فلا توجد في آيات الطاغوت على سبيل المثال، فإنّ الحكام الشيعة، والذين عندهم علم الغيب (الأئمة المعصومين)، وزوار المقابر والمشاهد المشرفة، والعابدون في هذه الأمكنة، والمتوسلون بالأنبياء والأئمة والصلحاء والشهداء لا يمكن أن يكونوا من الطواغيت؛ لأنّ هؤلاء يعتقدون ويؤمنون بالتوحيد ، والنبوة ، والخاتمية وأوامر الوحي ، والحياة الآخرة وفي ذات الوقت يعارضون الطاغوت ولا يوافقونه ؛ ولذلك فإن تفسير السلفية هذا يعارض ويخالف القرآن وآيات الطاغوت وليس إلا مجرد تفسير بالرأي وهو خاطئ.

النتيجة

توصل هذا البحث إلى نتائج وهي كما يلي:

من ذرائع الحركات السلفية الجهادية في إجراءاتهم العملية ، واستعمالهم الأسلحة، وحركاتهم الثورية والإرهابية والانتحارية هي تفسيرهم وقراءتهم الموسعة لكلمة الطاغوت في القرآن.

يبدو أنّ تفسيرهم الموسّع والمعمّم لكلمة الطاغوت قد سبّب في توسيع نطاق جهاد السلفية الجهادية ، وإن تم عرض تفسير أضيق وأخص وأكثر تحديدًا لكلمة الطاغوت ، وارتكز هذا التفسير على الأمثلة الواضحة الإجماعية للطاغوت، فعندئذ يحدد نطاق جهاد السلفية الجهادية على الكفار والمشركين واليهود فقط ، ولا يبقى مجال وذريعة لإجراءاتهم العملية والجهادية والثورية والإرهابية والانتحارية ضد المجتمعات الإسلامية من الشيعة والسنة ، هذا وإنّ السلفية الجهادية تتسلط اليوم على البلاد الإسلامية والمسلين وأكثر ضحاياهم من المسلمين.

وكذلك تبين أنّ الطاغوت مفهوم مشترك للشرك ، والكفر ومخالف للتوحيد ، والنبوة والمعاد.

المصادر و المراجع

١- القرآن الكريم

٢- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم - ، أحمد بن عبد الحليم، ابن تيمية (١٣٦٩ق). التحقيق: محمد حامد الفقى. ط٢. القاهرة: مطبعة السنة المحمدية.

٣- إلهيات - جعفر سبحاني (١٤١١ق). ط٣. قم: المركز العالمي للدراسات الإسلامية.

٤- تحولات الحركة الإسلامية والإستراتيجية الأمريكية - حبيب، كمال (٢٠٠٦). القاهرة: دار مصر المحروسة.

٥- التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع - ، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية(٢٠٠٠). التحقيق: محمد بن عودة السعوي. ط٦. الرياض: مكتبة العبيكان.

٦- جامع البيان في تأويل القرآن - ، محمد بن جريرالطبري (١٤٢٠ق). بيروت: مؤسسة الرسالة.

٧- جامع الرسائل - ، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية(٢٠٠١). التحقيق: محمد رشاد سالم. ط١. الرياض: دار العطاء.

٨- الحسبة لشيخ الإسلام ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (٢٠٠٠). التحقيق: علي بن نايف الشحود. د.م: د.ن.

٩- الديمقراطية دين - ، أبو محمدالمقدسى (د.ت). د.م: منبر التوحيد والجهاد

١٠- سير گفتمان سلفيگرى - مروان شحادة، (١٣٩٥ ش). الترجمة: محمد كاظم جعفري. طهران: سروش.

١١- العمدة في إعداد العدة - عبدالقادر عبد العزيز، (١٩٩٩). عمان: دار البيارق.

١٢- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - آل شيخ، عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (١٩٥٧). القاهرة: مطبعة السنة المحمدية. www.tawhed.ws/r.

١٣- لسان العرب - ، محمد بن مكرم ابن منظور (١٤١٤هـ). ط٣. بيروت: دار الفكر- دار الصادر.

١٤- لماذا الجهاد - أبوقتادة، أبو عمر عمر محمود (د.ت). د.م: منبر التوحيد و الجهاد، www.tawhed.ws/r.

١٥- معجم مقاييس اللغة - أحمد ابن فارس، (١٤٠٤هـ). قم: دفتر تبليغات إسلامى للحوزة العلمية بقم.

١٦- مفهوم الحاكمية في فكر الشهيد عبد الله عزام- الأنصاري، أبو عبيدة (د.ت). باكستان بيشاور: مركز الشيهد عبد الله عزام.

١٧- ملة إبراهيم ودعوة الأنبياء والمرسلين - أبو محمد المقدسى، (د.ت). د.م: منبر التوحيد والجهاد.

بسم الله الرحمن الرحيم
شرح الصدر وفضل الذكر